

صيد الخاطر

211 - - فصل : ا ينظر كيف تعملون .

من الابتلاء العظيم إقامة الرجل في غير مقامه مثل أن يحوج الرجل الصالح إلى مداراة الظالم و التردد إليه و إلى مخالطة من لا يصلح و إلى أعمال لا تليق به أو إلى أمور تقطع عليه مراده الذي يؤثره .

مثل أن يقال للعالم : تردد على الأمير و إلا خفنا عليك سطوته فيتردد فيرى ما لا يصلح له و لا يمكنه أن ينكر .

أو يحتاج إلى شيء من الدنيا و قد منع حقه فيحتاج أن يعرض بذكر ذلك أو يصرح لينال بعض حقه و يحتاج إلى مداراة من تصعب مداراته بل تتشتت همته لتلك الضرورات و كذلك يفتقر إلى الدخول في أمور لا تليق به مثل أن يحتاج إلى الكسب فيتردد إلى السوق أو يخدم من يعطيه أجرته .

و هذا لا يحتمله قلب المراقب سبحانه لأجل ما يخالطه من الأكدار .

أو يكون له عائلة و هو فقير فيتفكر في إغنائهم فيدخل في مداخل كلها عنده عظيم . و قد يتلى بفقد من يحب أو ببلاء في بدنه و بعكس أغراضه و تسليط معاديه عليه فيرى الفاسق يقهره و الظالم يذله .

و كل هذه الأشياء إلا التسليم و اللجأ إلى القدر في الفرج .

فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظام و لا يتغير قلبه و لا ينطق بالشكوى لسانه . أو ليس الرسول صلى الله عليه و سلم يحتاج أن يقول : من يؤويني من ينصرني ؟ . و يفتقر إلى أن يدخل مكة في جواز كافر ؟ .

و يشق السلي على طهره و تقتل أصحابه و يداري المؤلفة و يشتد جوعه و هو ساكن لا يتغير ؟ .

و ما ذاك إلا أنه علم أن الدنيا دار ابتلاء لينظر فيها كيف تعملون .

و مما يهون هذه الأشياء علم العبد بالأجر و أن ذلك مراد الحق .

(فما لجرح إذا أرضاكم ألم)